# قصة كفاح تركستان الشرقية ضد الشيوعية

بقلم: دولقون عيسى

إن الشيوعية الصينية قاموا باحتلال تركستان الشرقية في الثالث عشر من اكتوبر عام 1949م، وعندما وصلوا إلى حدود تركستان كان الوضع السياسي مضطربًا جدًا، وحدثت مقاومة للاحتلال الصيني، وخلال شهر الاحتلال تجمع حوالي ثلاثمائة مجاهد في قـضية آراتورك وما حولها بولاية قومول، وأرسلوا مندبين عنهم إلى المناطق والقرى المجاورة، ليبلغوهم بأنه بدؤوا الثورة ضد المحتلين الصينيين ويدعونهم إلى التضامن معهـم، وفـي الثلاثين من يناير عام 1950م اجتمع في حي بولوك باشي باراتورك أكثر مـن خمـسائة مجاهد بزعامة مؤسسي الجهاد الذين كانوا نواة للجيش الشعبي لمقاومة الشيوعية.

ومنذ ذلك اليوم وخلال عامين كاملين حدثت غارات مسلحة على القواعد العـسكرية الصينية وكانت لها نتائج مهمة، وتجمع في المناطق الجبلية من أورومتشى أكثر من ألفي مجاهد بقيادة قاليبك، ووضعوا نصب أعينهم طرد الصينيين الشيوعيين من تلك المنـاطق وتأسيس دولة مستقلة، واستمرت الحروب بين الطرفين أكثر من عام.

وفي الشهر الثامن من عام 1949م انسحب المجاهدون إلى مدينة بش بـاليق بجـوار آلتاي، وهناك انقسموا إلى قسمين قسم توجه إلى أورومتشي وما حولها وقسم آخر توجـه إلى قومول وباريقول. وفي شهر إبريل من عام 1950م التقى المجاهدون بقيادة عثمـان باطور بمجاهدي قومول وبدأت حركت مسلحة قوامها عشرون ألف مجاهـد، واسـتمرت المعارك بين المجاهدي وبين قوات الاحتلال أكثر من عامين، قُتل فيها أعداد كبيرة مـن جيش الاحتلال، وقضى كثير من الشباب التركستانيين نحبه دفاعًا عن تراب الوطن.

## لقاء المجاهدين

في عام 1951 اجتمع غولجا (ايلي) مجلس المثقفين، وطالبوا بالاسـتقلال الـسياسي منذرين حكومة الاحتلال بقرب نشوب الثورة المسلحة العارمة في جميع أنحا البلاد، لكن حكومة الاحتلال اعتقلت أعضاء المجلس واحدًا بعد الآخر وأعدمتهم. وفـي عـام 1953 حدثت ثورة شاملة في جميع القرى التركستانية الشرقية لكن الجلاد الصيني (وانغ جـين) أخمد هذه الثورة بشكل دموي فظيع، كما اعتقل مئات الألوف من الـوطنيين والمثقفـين

والعلماء ودمر كثيرًا من القرى تدميرًا كاملًا، وحول الـبلاد إلـى حمامـات دم، وأرادت حكومة بكين تهدئة الوضع ظاهريا فاستعدت وانغ جين، لكنها من جهة أخـرى اعتقلـت كثيرًا من زعماء وأعضاء الحزب الإسلامي التركستاني وقتلتهم.

## حزب النجاة

وفي عام 1954م دعا كل من الشيخ عبد الحميد وفتح الدين محسوم لمـؤتمر حـزب النجاة ويعقد في منزل نياز بك حاجي بمدينة أقجاي، وتقرر في هذا المؤتمر الدخول فـي ثورة مسلحة اعتبارًا من يوم 15 نوفمبر 1955م، وبدأت الثورة المسلحة في اليوم المحدد واستولى المجاهدون على مسجد آتجوي، وأطلقوا سراح المعتقلين، وكان مدينة خوتن هي الرحلة الثانية لكن بعض الخونة أفشلوا خطة الهجوم على (خوتن)؛ وسالت دماء زكية في هذه الحركة كما أعدم زعماؤهم.

ولم تدم هذه الحركة طويلًا لكن نتائجة كانت كبيرة ومهمـة إذا عبـرت عـن الإرادة الحقيقية للشعب التركستاني، وقوت الرغبة والتصميم في بلـوغ أهـدافها فـي الحريـة والاستقلال، وبعثت الأمل فيالنفوس وبينت للشعب أن طريق النصر يمـر عبـر الثـورة المسلحة تدعمها الحركات الفكرية ووسائل الإعلام والنشر، فصدر عقب ذلك عـدد مـن الصحف والمجلات الوطنية مثل (نداء الشباب) و(دستور تركـستان المـستقلة) و(أرض للأمم المتحدة) وغيرها.

وفي شهر مارس من عام 1956م بدأت حركة مسلحة في مدينة قراقـاش بزعامـة الشيخ عبد الباقي والشيخ عبد الصامد. وحقق أكثر من 800 مجاهد هجومًا على (وحدات الأرض المسلحة) الصينية قتلوا فيها المئات من جنود الاحتلال الصيني، واستـشهد مـن المجاهدين مائتان.

وفي شهر مايو عام 1956 اجتمع في مدينة لوب أكثر من 1300 مجاهد بقيادة عبـد القادر وأعلنوا الثورة المسلحة، وفي عام 1957م اعتقل المجاهدون التـابعون لوحـدات الفرسان في الجيش الوطني بأولونباي.

## سراح السجناء

وفي الشهر التاسع من عام 1958م حدثت ثورة مسلحة في مناطق كوكتوقاي وجنكيل وبيش باليق بزعامة جمشيد قان ودلي قان. وفي الشهر العاشر من العام نفسه قام أكثر من

سبعمائة عنصر من الجيش الوطني بقيادة علي قربان بعملية مسلحة في منطقـة طـائري داغ، فدخلوا دار الحكومة واستولوا على كميات مهمة من الذخائر الحربيـة كمـا قعـوا خطوط الاتصالات، وأطلقوا سراح السجناء، والقى في قلوب الصينيين الرعـب، فغـادر كثير من المهاجرين الصينيين أراضي تركستان الشرقية عائدين إلى بلادهم الأصلية. وفي عام 1962م وقعت حركة مسلحة بزعامة حزب الشعب لكن جيش الاحتلال أخمـد هـذه الحركة بوحشية بالغة. واعتقلت أعداد كبيرة من الناس. وكان حزب الشعب التركـستاني الشرقي م أدق المنظمات السياسية تنظيمًا ووضوحًا في الهدف والبرنامج، وأكثرها تفاهما مع منظمات المثقفين والطبقة الوسطى والعليا من الموظفين والعمـال ودعامـة الحـزب وعموده الفقري.

وضمن برنامجه الثوري المنظم وسع حزب الشعب نطاق حركته بشكل قوي وأكمـل الاستعدادات الأولية للثورة، وعمل على تحقيق الشروط اللازمة لها وحدد يـوم الـسادس والعشرين من يونيو تاريخ بداية الكفاح للثورة الكبرى وأجرى اتصالاته المكثفة مع القوى المؤثرة في الداخل والخارج للتحرك المشترك وتطبيق خطط الهجوم العام.

لكن نشاط بعض الخونة في الداخل والخارج أدى إلى أن يقوم الشيوعيون الـصينيون باعتقال زعماء الحزب وأعضاءه قبل موعد التحرك بثلاثة أيام، حيث تم اعتقال أكثر من 32 ألفًا من المجاهدين وفيهم زعمي المجاهدين أمينوف والمثقفون، وجمعهم في معكسرات الاعتقال التي أعدتها رئاسة الأركان الصينية. فاضطر المجاهدون فـي كاشـغر بقيـادة أخونوب ومجيد إلى التحرك قبل الموعد بثلاثة أيام، ووقع معـارك قاسـية مـع الجـيش الصيني الأحمر أبلى فيها المسلمون التركستانيون بلاءً حسنًا.

وأوقعوا أكبر الخسائر في صفوف الشيوعيين، وقاتل المجاهدون حتى استشهد آخـر رجل منهم في ميدان الجهاد والشرف. وكان القائدان أخونوب ومجدي من بين الـشهداء. وبدأت حملة الاعتقالات العشوائية والبحث عن المجاهدين الآخـرين، ومنحـت حكومـة الاحتلال السلطات المحلية في المدن والقرى صلاحية إعدام من تـراه مـن المـواطنين التركستانيين بعد محاكمته محاكمة ميدانية.

وفي يوم التاسع والعشرين من مايو عام 1970م (وهو اليوم الذي يصادف مجـزرة إيلي وكوجك) تمت محاكمة أيمنووف وثلاثين من إخوانه المجاهدين وحُكم عليهم بالموت

ونُفذ الحكم علنًا في أكبر ميادين أورومتشي. كما قُتل في السجون كثيـر مـن المثقفـين المعتقلين وبقي الألوف من الشباب التركستاني قيد المعتقلات عـشرات الـسنين. كانـت الطريقة التي تم بها إخماد هذه الحركة من قبيل (قتل القرد حماية للنمر) في المثل الصيني الشهير، لكن هذه الحركة أثبتت من جانب آخر وضوح الرؤية لدى الـشعب التركـستاني وشدة التكاتف والتضامن بين أبنائه. كما شد من عزيمة الإنسان التركستاني وقـوى مـن إيمانه بعدالة قضيته، وأقلقت (الحكومة المركزية) في بكين.

وفي الثمانينات دخل كفاح الشعب التركستاني الشرقي من أجل الاسـتقلال مرحلـة جديدة، فصارت التنظيمات أكثر سرية ودقة، وانتشر الوعي الـوطني وإيقـاظ الـشعور القومي في كل الأصقاع.

وفي شتاء عام 1980 تعرض الكاتب الوطني المعروف عبد الحميد مسعود لعملية قتل متعمد، فحمل آلاف العمال جثته الملطخة بالدماء وطافوا بها شوارع أورومتشي وهتفـوا (العين بالعين والسن بالسن)، واشترك في هذه المسيرة الطلبة والمواطنون في المدينة حتى وصلوا إلى دار الحكومة المحلية، وتحاشى الصينيون التعرض للمسيرة مـع أنهـا كـان مخالفة للأحكام العرفية، وكان من نتائجها أن اضطر الصينيون إلى إجراءا تعديلات فـي بعض مواد الدستور الصيني. وفي عام 1981م قام أكثر من مائتي شاب تركستاني بفـتح فرع للحزب الإسلامي التركستاني، وقام هؤلاء الشباب فيما بعد بهجوم على مديرية الأمن في المدينة واستولوا على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر، لكن يد الخيانة طالتهم مرة أخرى فقُتل أكثرهم في عمليات قام بها الجيش الصيني في المنطقة. وفي الأعوام التي تلت هذا التاريخ نشأت أحزاب وطنية أخرى مثل حزب طائر داغ وحسب شـرارة الـشباب، وأحزاب أخرى نحجم عن البوح بها لأنها غير معروفة من قبل المحتلين حتى الآن.

واستأنف هذا الحزب والمنظمات الوطنية الأخرى الكفاح لتحقيق الأهـداف المحـددة ضمن نطاق دولة تركستان الحرة المستقلة. وتجذرت فكرة الحرية والاستقلال في أعماق هذا الشعب، كما انتشر بين الشباب بصورة خاصة تيار الديموقراطية الحديثة. وأثبت هذا التيار نفسه في أوساط الشباب الجامعي بصورة خاصة، ففي عام 1985 نظم هذا التيـار المظاهرات الطلابية التي تعتبر صفحة جديدة ومتطورة في الحركـة الطلابيـة الرافـدة للحركة الوطنية بصورة عامة.

وأكد أن شعب تركستان الشرقية قام خلال حكم الاحتلال الصيني منذ 45 عامًا بمئات من الثورات المسلحة إلى جانب النشاط السياسي في كل المجالات وقد مئات الألوف مـن الشهداء، وكتب صفحات التاريخ بدماء شهدائه، حيث بلغ عدد من استشهد في الـصراع ضد المحتلين الصينيين أكثر من نصف مليون شهيد.

**بقاء الاحتلال**

يرجع بقاء تركستان تحت الاحتلال إلى عوامل كثيـرة ومعقـدة داخليـا وخارجيـا، وتتضمن:

- لم تكن لحركة التحرير هذه زعامة أو منظمة لها ماضٍ تاريخي تخطـط للتحريـر بشكل صحيح، وتجمع جميع قطاعات الشعب حولها وتحظـى بـدعم سياسـي داخلـي وخارجي.

قصور الإعلام الخارجي لهذه الحركات حيث لم تعلم بهـا المنظمـات والجمعيـات والمؤسسات التركستانية الشرقية ولم تقم بواجبها في إبلاغ دول وشعوب العالم بالقـضية الوطنية.

- ليس لدى الصينيين المحتلين ثقافة وأفكار ديموقراطية كما عهدناها في المستعمرين الآخرين كالإنجليز والفرنسيين. لذلك فإن المحتلين الصينيين لم يكتفوا بإخمـاد حركـات التحرر التي قام بها الشعب التركستاني، بل عمدو إلى التعتيم الكامل علـى إخبـار هـذه الحركات. كي تبقى الأحداث في أضيق الحدود. لقد دفع شعبنا الثمن غاليًا، وسيبقى علـى درب الجهاد حتى يتحقق النصر المؤزر.

**جريدة (المدينة)**

**15 يونيو 1995م**

**17 محرم 1416 هـ**